اليوم خمر

تأليف الأستاذ محمود تيمور بك

بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب

ما يبرح الأستاذ تيمور يحبو صحابه بكرمه، فهو لا ينسى أبداً وشائج الهداية الأدبية، ولا يغفل أواصر المحبة الروحية، ولا يمضي عن روابط الإخاء والود، فهو — دائماً — يخصهم، أول ما يخص، بمؤلفاته وكتبه، ولقد أهدى إلي — أخيراً — مسرحيتين هما «الخبأ رقم ١٣» و «اليوم خمر».

وإنه ليسرني أن أتحدث عن «اليوم خمر» قبل أن أقف حيناً بإزاء مسرحيته «الخبأ رقم ١٣» فلقد ألفيت فيها روحاً وثابة متألقة وفناً عالياً رقراقاً وجمالاً في السبك وقوة في الأداء وسمواً في التصوير. ووجدته قد جمع فيها أخلاطاً من الناس اختلفت مشاربهم وتنافرت بيئاتهم وتضاربت ثقافتهم، ثم أنطقهم بحديث يكشف عن خلجات نفوسهم وخواطر عقولهم، فجاء الحديث قوياً لم يعبه الفتور ولا الضعف ولم يشبه الإخفاق ولا الوهن. وإنك لتعجب أشد العجب أن يتقمص المؤلف روح الرجل الارستقراطي المهذب وروح السوق الوضيع في وقت معاً فلا يخطئه التوفيق في التعبير عن توازع نفسيهما ولا يفلت من بين يديه زمام التحليل السيكولوجي. ولا يسف في حادثة ولا يتصنع الحديث ولا يتكلف الحبكة الفنية ... هذه — ولا شك — هي عبقرية الفنان ونبوغ القاص وتجربة المجرب ...

***

أما مسرحية «اليوم خمر» فهي قصة حياة امرىء القيس الشاعر العربي الجاهلي المعروف من لدن كان فتى غض الإهاب في العشرين من عمره إلى أن خذله قيصر الروم فأحس خيبة المسعى وضياع الأمل. وإن القارىء ليعجب أن وفق المؤلف توفيقاً عجيباً حين التزم أسلوب البداوة في قوة التعبير وجزالة اللفظ ورصانة الأداء ليخرج لنا من حياة الشاعر تخيلية فيها روح هذا العصر، وإنه ليحس — مع ذلك — بأشخاص الرواية ينبضون بالحياة ويخفقون بالإنسانية مما يدل على سمو الفن في روح المؤلف وسلامة ذوقه. ولا عجب أن يستنبط الأستاذ تيمور — وهو فنان عظيم — مسرحية مسلسلة مترابطة الأوصال متماسكة الجوانب، يستلها من حوادث التاريخ المضطربة المتداعية، فهذا عمل لا يتأتى إلا لمثله، وهو فتح عظيم في هذا المضمار الشائك.

وإن الحوار ليبلغ غاية القوة والإتقان في مواقف ثلاثة: في يوم دارة جلجل حين هبط امرؤ القيس على العذارى وهن يبتردن في الغدير. وفي تصادم الشاعر مع أبيه وهما إلى جانب ذي الخلصة، حين تصارعت قوتان: قوة الملك حجر الجبار القاسي وقوة الفن البوهيمي الذي لا يؤمن بمقاييس الحياة المادية ولا يخضع إلا لشهوات عقله وجسمه. وفي موقف امرىء القيس من وفد بني أسد حين أقبلوا إليه يترضونه ويستغفرون لزلتهم أن ثار بعض عمالقتكم بأبيه الملك فقتله ...

ولقد أراد المؤلف فأبان عن كثير من خصال الشاعر: فهو رجل عربيد داعر لا يرده الحياء ولا يمسكه الخجل فيقف على غدير دارة جلجل موقفاً مشيناً فيضطر العذارى إلى أن يخرجن إليه عاريات ... وهو — في حادثة أخرى — يجلس إلى فاطمة ابنة عمه يتغازلها ويغريها بأمر في الساعة التي علم فيها بمقتل أبيه حجر فتردد فاطمة بقولها «أسيابة وهيام في مثل هذا المقام؟ لقد أفقدتك الخمر رشدك وهاجت في نفسك شجوناً ليس هذا حينها» ولكنه يجيبها في استهتار وخفة «إن الحب يا فاطمة لا يضرب له وقت موعد ولا يعين له حين ... أحبك، يا فاطمة، أحبك في كل آن ... ما ضرنا اليوم وقد زال من طريقنا العوائق أن نحقق حلمنا القديم، يا طالما حالوا بيننا وبين وصالنا. أما الآن فلا حائل يحول». هذا — ولا ريب — كلام رجل لا يشعر بالعبء الذي يثقل كاهله؛ فلا هو أحس الحزن لمقتل أبيه ولا هو ارعوى فاحترم مصيبة ابنة عمه في أبيها وفي أبيه في وقت معاً.

وهو رجل متلاف لا يبقي على شيء مثلما قال خادمه حنظلة .. « أخبرني فديتك ، ماذا بقي لهذا الأمير من جاهه وثرائه ؟ إنه كما ترى لا يبقي على شيء . ولست أدري إلى أين ينتهي به وبنا المساق ألم يتفكر له أبوه فيقدو شريداً طريداً ؟ »

وهو رجل خال من الفحولة ، فلقد غبر زماناً يدفعه الشوق إلى أفحوان الغانية ، حتى إذا ظفر بها وخلا إليها خانته رجولته فارتدت الفتاة عنه مشيحة ببدو عليها النفور فتقول لرفاقه : « إن صاحبكم ليتشدق بالطعن والضرب ، آخذاً للحرب أهبتها في كل وقت ، فإن حانت ساعة الهراك نبوأ مقعده يرقب السماء ويحصي نجوم الليل » . هذا تعبير قوي عن خلة من خلال الشاعر يعرفها له التاريخ ولكنه تعبير يترفع عن الإسفاف والفحش .

ولكن القصة مثلت امرأ القيس في داعراً لم تغيره الحوادث ولا عركته السنون ولا أصابه الوهن يتراءى في كهولته فتى في الثلاثين غزلا يتشبب بالنساء ويفرغ للكأس ، عزباً يرتو إلى إلى فاطمة حيناً وإلى ابنة قيصر حيناً آخر .. غير أن التاريخ يقول إنه تزوج من أم جندب بعد أن تزوجت فاطمة من أبي عنبسة وإن قصة تحكيم أم جندب فيما شجر بين امرئ القيس وبين علقمة الفحل قصة يعرفها كل من قرأ تاريخ الأمير الشاعر .

* * *

لست أنكر أن تاريخ العرب في الجاهلية مضطرب اضطراباً كبيراً لا تجمعه آصرة ولا تربطه صلة ولا يدعمه سند ، ولكن فيه حوادث ثابتة أجمع المؤرخون على صحتها . وما كان للمؤلف أن يتناولها في مسرحيته ، أو أن يضع شيئاً مكان شيء إلا أن تكون قد تضاربت الروايات .

وهكذا انضمت المسرحية على بعض المآخذ التاريخية منها : أن المؤلف جمع بين يوم دارة جلجل وبين حادثة عفو الملك حجر عن أسرى بني أسد .. جمعهما في قرن في حين أن الحادثتين كانتا في مكانين مختلفين ويفصلهما زمان طويل . ومنها أن المؤلف أقحم مقحماً في نهاية الفصل الرابع من المسرحية ليوحي إلى امرئ القيس بأن يطلب العون من قيصر الروم وليزين له الرحلة إلى القسطنطينية في حين أن التاريخ يجزم بأن السموأل بن عاديا هو الذي مهد السبيل لامرئ القيس كي يبلغ بلاد الروم في أمان ويستقر هناك في هدوء ... ومنها ما جاء في ختام القصة حين فر امرؤ القيس ورفاقه من القسطنطينية ، وهذه حادثة لم تعثر لها على أصل في ما لدينا من مراجع إلا أن تكون قد حاكتها يد فنان بارع . وأنى لرجل من أعداء قيصر أن يفر من بين يدي جنده وحراسه وجواسيسه وهم يملأون أرجاء المدينة وشعابها ؟ أما التاريخ فإنه يقول إن قيصر كان يخشى سطوة الأمير الشاعر فأهدى إليه حلة مسمومة فلبسها فأصابته القروح وتناثر لحمه ومات في أثره وهو في طريقه إلى حرب كسرى على رأس كتيبة من جيش عرمرم .

* * *

هذه — ولا شك — هنات هينات لا تضع من قيمة الجهد العظيم الذي اضطلع به القصاص الكبير الأستاذ تيمور .

كامل محمود حبيب

أحمد حسن الزيات

يقدم

دفاع عن البلاغة

كتاب يعرض قضية البلاغة العربية أجل معرض ويدافع عنها أبلغ دفاع فيذكر أسباب التنكر للبلاغة ، والعلاقة بين الطبع والصنعة ، وحد البلاغة ، وآلة البلاغة . الخ .

من فصوله المبتكرة الذوق ، والأسلوب ، والمذهب الكلاسي العاصر وزعماؤه وأتباعه ، ودعاة العامية ، ودعاة الرمزية ، وموقف البلاغة من هؤلاء وأولئك ... الخ

يقع في ١٩٤ صفحة وثمنه خمسة عشر قرشاً عدا أجرة البريد